

منها، متقلبو المزاج غير مدركين تماماً لمشاعرهم، إلى الدرجة التي يضيعون فيها ويتوهون عن أهدافهم إلى حد ما، ومن ثم فهم قليلاً ما يحاولون الهرب من حالتهم النفسية السيئة، كما يشعرون بعجزهم عن التحكم في حياتهم العاطفية، إنهم أناس مغلوبون على أمرهم فاقدوا السيطرة على عواطفهم.

2- المتقلبون لمشاعرهم:

هؤلاء على الرغم من وضوح رؤيتهم بالنسبة لمشاعرهم فإنهم يميلون لتقبل حالتهم النفسية دون محاولة تغييرها .

ويبدو أن هناك مجموعتين من المتقلبين لمشاعرهم وهما:

- المجموعة الأولى: تشمل من هم عادة في حالة مزاجية جيدة، ومن ثم ليس لديهم دافع لتغييرها.
- المجموعة الثانية: تشمل من لهم رؤية واضحة لحالتهم النفسية، ومع ذلك فحين يتعرضون لحالة نفسية سيئة يتقبلونها كأمر واقع. ولا يفعلون أي شيء لتغييرها على الرغم من اكتئابهم، وهذا النموذج من المتقلبين يدخل في إطار المكتئبين الذين استكانوا اليأس.

رابعاً: الانحراف العاطفي

وفقاً لتقييم الآباء والمدرسين تسير الحالة التي عليها الأطفال من سيئ إلى أسوأ، وتنبئ كل المؤشرات إلى اتجاه سلوك الأطفال بثبات الانحراف. وتشير كل المؤشرات أيضاً إلى أن الأمور تسير في المسار غير الصحيح، وأن الأطفال يتصف أداؤهم بالتخبط على نحو من الأنحاء التالية:

- الشعور بالقلق والاكتئاب: لأنهم منعزلون تتابهم مخاوف عدة ويشعرون بكرهية الآخرين لهم، كما أنهم عصبيون أو يشعرون بالحزن والاكتئاب.
- عدم الانتباه أو مشاكل التفكير:

- يبدو عليهم عدم الانتباه أو يجلسون صامتين، يحملون أحلاماً يقظة، يتصرفون دون تفكير، في غاية العصبية التي تمنعهم من التركيز، نتائجهم ضعيفة في الواجبات المدرسية، ولا يستطيعون طرد الأفكار المزعجة من عقولهم.
- الجنوح والعدوانية: حيث ينفقون الوقت في مضايقة الصغار المتورطين في المشاكل، ويكذبون ويغشون، ويكثرون من الجدل، ويتسمون بالسفالة مع الآخرين، ويحاولون لفت الأنظار، ويتصفون بالعناد والمزاج المتقلب، ويستمتعون بإغابة الآخرين، ويتسمون بحدة الطبع.

وإذا كانت كل مشكلة من المشاكل معزولة لا تثير الدهشة، فإن تناول هؤلاء الأطفال كمجموعات يشير إلى وجود موجة عارمة من التغيير الجديد وهذا يعني أن هناك نقصاً كاسحاً في الكفاءات العاطفية.

ويبدو أن الانحراف العاطفي هو الثمن الشامل للحياة العصرية التي يعيشها الأطفال، وبينما يستهجن الأمريكيون مشاكلهم بوصفها مشاكل متفاقمة إلى حد ما بالمقارنة بمشاكل الثقافات الأخرى.

نجد أن الدراسات التي أجريت حول هذه المشاكل على مستوى العالم كله أظهرت أن معدلاتها على مستوى مشاكل الولايات المتحدة نفسها أو أسوأ منها، وعلى سبيل المثال كان معدل مشاكل الأطفال في مستوى مشاكل أطفال الولايات المتحدة في الثمانينيات في كل من هولندا والصين وألمانيا وفقاً لتقييم مدرسيهم وآبائهم يوازي المعدل لدى الأطفال الأمريكيين في العام 1976.

وهناك بلاد يزيد مستوى مشاكل أطفالهم سواء عن المستويات الحالية لأطفال الولايات المتحدة منها أستراليا وفرنسا وتايلاند، غير أن هذه التقديرات لن تظل تقديرات نهائية، لأن القوى التي تحفز انخفاض الكفاءة العاطفية يبدو أنها تعمل على تسارع هذا الانخفاض في الولايات المتحدة بالمقارنة بعدد كبير من الأمم المتقدمة.

إن هذا الخطر لا يستثنى منه أي أطفال من الأغنياء أو الفقراء، ومن أي جماعات

طائفية أو عنصرية أو مالية، فهذه مشاكل عامة، وهكذا، بينما يسجل الأطفال الفقراء أسوأ مستوى بمؤشرات المهارات العاطفية، فإن معدل تدهورهم مع الوقت لم يكن أسوأ من مستوى الطبقة المتوسطة، أو حتى الأطفال الأغنياء، فهؤلاء الأطفال جميعاً ينزلون إلى الأسوأ بالمستوى الثابت نفسه، فارتفاع عدد الأطفال الذين يعالجون سيكولوجياً ثلاثة أضعاف، ربما كان هذا علامة على أن المساعدة النفسية أصبحت اليوم متاحة أكثر من قبل، وتضاعفت أعداد الأطفال المنخرطين في مشاكل عاطفية تحتاج إلى ضرورة المساعدة النفسية لكنهم لا يحصلون عليها فقد ارتفعت هذه النسبة من 9٪ العام 1967 إلى 18٪ العام 1989 .

ويقول "يوري. يرونفينبرنر" Uri Bronfenbrenner المتخصص في علم نفس النمو بجامعة كورنيل، والذي أجرى دراسة عن صحة الأطفال النفسية على مستوى العالم.

لقد أصبحت الضغوط الخارجية في غياب مساندة جيدة، من القوة لدرجة تفككت فيها حتى الأسر القوية، فقد تفشت الإثارة وعدم الاستقرار وغياب التوافق في حياة الأسر اليومية بكل قطاعات مجتمعا، بما فيها قطاعات المثقفين والميسورين، ومن ثم فإن المهددين فعلا بالخطر هم الأجيال القادمة، وخاصة الذكور منهم، لأنهم أكثر تعرضاً لمثل هذه القوى المدمرة بآثارها المحتاجة، مثل الطلاق والفقر والبطالة، فالواقع الراهن للأطفال واقع بائس، كما هو دائماً إننا نجرد ملايين الأطفال من شخصياتهم المعنوية وكفاءاتهم.

هذه الظاهرة ليست ظاهرة أمريكية فحسب، بل ظاهرة كونية يتنافس فيها العالم، فخفض تكلفة العمالة، وخلق قوى اقتصادية تضغط على الأسرة المحاصرة مالياً، يعمل فيها الأبوان ساعات طويلة تاركين رعاية الأطفال لآخرين، أو أمام التلفزيون، فضلاً عن نشأة الأطفال في الفقر، وكلما زاد عدد الأسر المكونة من أم بمفردها، أو أب بلا زوجة زاد وضع الأسرة سوءاً.

وعندما تترك الأمهات أطفالهن الرضع في دور الرعاية النهارية، فقيرة الرعاية لأقصى

درجة بما يصل إلى حد الإهمال، ألا يعني هذا كله حتى بالنسبة للآباء المدركين جيداً أبعاد هذه المشاكل. إلى أي مدى يصل التدمير الناتج عن التغيرات الصغيرة التي حدثت بين الآباء والأطفال؟ وكيف أنه يحول دون تدريب الأطفال على الكفاءة العاطفية؟ فماذا ينبغي علينا أن نفعل إذا لم تؤد الأسرة وظيفتها بفاعلية ليقف أطفالها بأقدام ثابتة في معترك الحياة؟

لابد إذا أن ننظر نظرة أكثر اهتماماً إلى إثبات المشاكل النوعية، التي تشير إلى أن أساس مشاكل الأطفال الخطيرة يكمن في النقص في الكفاءة العاطفية أو الاجتماعية، كذلك يتعين علينا أن ننظر في الكيفية، للأهداف التصحيحية والوقائية الفعلية التي تحافظ على أطفالنا من الانحراف.

خامساً: الأسس العاطفية

هذا التعلم العاطفي يبدأ منذ لحظات الحياة الأولى ويستمر طوال مرحلة الطفولة، فكل الأفعال الصغيرة المتبادلة بين الأبوين والطفل، لها محتوى عاطفي ضمني، ومع تكرار هذه الرسائل على مر السنين، يتكون مع الأطفال أسس رؤيتهم وقدرتهم العاطفية، فالطفلة الصغيرة التي تجد أن لعبة اللغز ليست سهلة تسأل أمها المشغولة مساعدتها، فتلقى رسالة ما فإذا أجابت الأم بسرور واضح أو إذا أجابتها إجابة جافة مثل لا تضايقني أن مشغولة بعمل مهم، فإن هذه الرسائل من خلال الموجات النمطية بين الطفلة والوالدين سوف تصوغ النقاط العاطفية فيما بعد بالنسبة لعلاقتها ورؤاها التي ستشكل الصفة الغالبة لأدائها في مجالات الحياة سواء كانت نحو الأفضل أو نحو الأسوأ.

غير أن المخاطر التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال الذين أنجبهم لسوء حظهم آباء، يتصفون بالحماقة وعدم النضج أو مدمنو المخدرات، أو الغاضبون غضباً مزمناً، أو الذين يعيشون بلا هدف في الحياة يعيشون حياة فوضوية لا يتوقع من مثل هؤلاء الآباء تقديم أي رعاية مناسبة لأطفالهم الرضع ولا يتناغمون مع احتياجاتهم العاطفية.

وقد وجدت الدراسات أن الإهمال البسيط يمكن أن يكون أكثر تدميراً نفسياً من